

التبيان في تفسير القرآن

(264) وكذلك من يسمع ولا يصغى ولا يفكر فيه، ولا يتدبره فكأنه لم يسمعه. وقوله " إذا
ولوا مدبرين " معناه إذا أعرضوا عن أدلتنا وعن الحق ذاهبين إلى الضلال غير طالبين لسبيل
الرشاد. ولذلك لزمهم الذم وصفة النقص. وقوله " وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم " معناه
ليس في هؤلاء حيلة أن يقبلوا الهداية فصار العمي بالضلال صنفين أحدهما - يطلب الهداية
فهو يجدها عندك. والآخر لا يطلب الهداية، فليس فيه حيلة. ثم قال * (إن) * يعني ليس *
(تسمع إلا من يصدق بآياتنا وأدلتنا) * لانهم المنتفعون بدعائك واسماعك * (فهم مسلمون) *
لك ما تدعوهم اليه. ثم قال * (الذي خلقكم من ضعف) * وفيه لغتان - الضم، والفتح -
مثل الفقر والفقر، والكره والكره، والجهد والجهد، والمعنى انه خلقهم ضعفاء لانهم كانوا
نطفًا، فحولهم إلى أن صاروا أحياء أطفالًا لا قدرة لهم * (ثم جعل) * لهم * (من بعد ضعف) *
أي من بعد هذا الضعف * (قوة) * إذا شبوا وترعرعوا وكمّلوا * (ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة) * في حال الشيخوخة والشيب * (يخلق ما يشاء) * كيف يشاء * (وهو العليم) * بما
فيه مصالح خلقه قادر على فعله فهو يفعل بحسب ما يعلمه من مصالحهم. ثم اخبر تعالى عن
حال الكفار أنهم * (يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) * أنهم * (ما لبثوا غير ساعة) *
وقيل: في قسمهم بذلك مع أن معارفهم ضرورية قولان: أحدهما - قال ابوبكر بن الاخشاد: ذلك
يقع منهم قبل اكمال عقولهم. ويجوز قبل الالقاء ان يقع منهم قبيل. والثاني - قال
الجبائي: ان المراد أنه منذ ما انقطع عنا عذاب القبر